The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Colossians 2:10-16	كولوسي 2: 10–16
#C2610_Pt.2	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 343
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم".

في حَلْقَةِ اليوَم، سَنُتابِعُ بِمَشيئَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِرِسالَةِ بُولُسَ الرَّسول إلى أهْلِ كُولوسي. وَمَا نَأمَلُهُ وَنَرْجوهُ مِنْ أعْماقِ قُلوبِنا هُوَ أنْ تَكونَ، عَزيزي المُسْتَمِع، قَدْ تَبارَكْتَ، واسْتَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نُضْجًا في عَلاقَتِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ خِلالِ هَذِهِ التَّفسيراتِ وَالتأمُّلات.

وَالآنْ، إنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصْحاحِ الثَّاني مِنْ هَذا السِّفْرِ النَّفيس وَهَذِهِ الرِّسالَةِ العَظيمَةِ (أي الرِّسَالَةِ إلى أهْلِ كُولوسي). أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ يا صَديقي هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

والآنْ، نَتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَعَ دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ رِسالَةِ بُولُسَ الرَّسولِ إلى أهْلِ كُولوسي ابْتِداءً بالأصْحاحِ الثَّاني وَالعَدَدِ العاشِر؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ كُولوسي 2: 10:

وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ [أيْ: في المَسيحِ يَسوع]،
الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ.

أجَلْ، صَديقي المُستمِع! فَخَلاصُنا كَامِلٌ في المَسيحِ يَسوع. وَبِرُّنا كَامِلٌ فيهِ لأنَّنا لا نَستَطيعُ أنْ نُضيفَ لَهُ شَيئًا. فَنَحْنُ كَامِلونَ فيهِ لا مِنْ جِهَةِ حَالَتِنا، بَلْ مِنْ جِهَةِ مَقامِنا فيهِ. فَإنْ نَظَرْنا إلى حَالَتِنا فإنَّنا خُطاةٌ مَحْكومٌ علينا بالهَلاكِ بِسَبَبِ تَعَدِّينا على وَصايا اللهِ وَمَشيئَتِهِ. وَأمَّا مِنْ جِهَةِ مَقامِنا في المَسيحِ يَسوع، فإنَّنا أولادُ مَلِكِ المُلوكِ وَرَبِّ الأرْبابِ. فَالمسيحُ يَسوعُ فيهِ كُلُّ الكِفايَةِ. وَكما أنَّ كُلَّ مِلْءِ اللَّاهوتِ حَالٌّ في المَسيحِ يَسوع، فإنَّ المُؤمنَ المَسيحيَّ يَمْتَلِكُ في المَسيحِ يَسوعَ كُلَّ مَا يَحْتاجُ إليهِ للحَياةِ وَالتَّقوى.

وَيَصِفُ بولسُ الرَّسولُ السيِّدَ المَسيحَ بأنَّهُ "رَأسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطان". وَهُوَ يَعْني بِذَلِكَ أنَّ المَسيحَ هُوَ رأسُ كُلِّ الكائِناتِ الرُّوحِيَّةِ. فَعِنْدَما خَلَقَ اللهُ المَلائِكَةَ أعْطاها رُتَبًا مُخْتَلِفَةً. وَقَدْ كانَ الشَّيْطانُ في الأصْلِ مَلاكًا بِرُتْبَةٍ عَالِيَةٍ. وَمِنَ الوَاضِحِ أنَّ المَلائِكَةَ كانَتْ تَتَمَتَّعُ بإرادَةٍ حُرَّةٍ كالبَشَر. ولكنَّ هَذا المَلاكَ تَمَرَّدَ على اللهِ وَأرادَ أنْ يَصيرَ مِثْلَهُ. وَقَدْ تَبِعَهُ في تَمَرُّدِهِ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ المَلائِكَةِ مِنْ رُتَبٍ مُخْتَلِفَة.

وَسواءٌ كانَ بولسُ يُشيرُ هُنا إلى المَلائِكَةِ الذينَ حَافَظوا على وَلائِهِمْ للهِ، أمْ إلى المَلائِكَةِ الذينَ سَقَطوا بِسَبَبِ تَمَرُّدِهِمْ على اللهِ، فإنَّ هَذا لا يَهُمُّ كَثيرًا. فيسوعُ المَسيحُ هُوَ رَأسُ كُلِّ رِياسَةٍ وَسُلْطانٍ. فَالشَّيْطانُ لا يَسْتَطيعُ أنْ يَفْعَلَ أيَّ شَيْءٍ لا يَسْمَحُ اللهُ بِهِ. لِذلكَ، لا يَجوزُ لَنا أنْ نَتَخَيَّلَ أنَّ الشَّيْطانَ نِدٌّ للهِ. فَهُوَ ليسَ كَذَلِكَ البَتَّة. فالشَّيْطانُ مَخْلوقٌ وَمَحْدودُ القُدْرَةِ. أمَّا السيِّدُ المَسيحُ فَهُوَ اللهُ القادِرُ على كُلِّ شَيءٍ. وَهُوَ صَاحِبُ السِّيادَةِ والسُّلْطانِ على الكَوْنِ وَما فيه.

وَلأنَّ أصْحابَ البِدْعَةِ الغَنوسْطِيَّةِ كانُوا يَعْشَقونَ الحَديثَ عَنِ المَلائِكَةِ، فإنَّ بولسَ يَقولُ هُنا إنَّ يَسوعَ المَسيحَ هُوَ رأسُ كُلِّ رِياسَةٍ وَسُلْطانٍ. فَهُوَ خَالِقُ الكُلِّ. وَهُوَ الربُّ والسيِّدُ المُطْلَقُ على الكُلِّ.

وَيُتابِعُ بولسُ الرَّسولُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ كُولوسي فيقولُ في الأصْحاحِ الثَّاني والعَدَدِ الحادي عَشَر:

وَبِهِ أَيْضًا [أيْ: في المَسيحِ يَسوعَ] **خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ،**
بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ.

وَبَعْدَ أنْ كانَ الرَّسولُ بولسُ يَرُدُّ على البِدْعَةِ الغَنوسْطِيَّةِ، فإنَّهُ يَرُدُّ عَلى التَّعاليمِ الخاطِئَةِ التي كانَ يُنادي بِها المُهَوِّدون. فَقَدْ كانَ المُهَوِّدونَ يَقولونَ للمَسيحيِّينَ مِنَ الأُمَمِ إنَّ الإيمانَ بيسوعَ المَسيحِ لا يَكْفي لِتَبْريرِهِمْ، بَلْ يَنْبَغي لَهُمْ أنْ يُخْتَنوا لِكَيْ يَتَبَرَّرُوا قُدَّامَ اللهِ. لِذلكَ قالَ بولسُ لِمُؤمِني كولوسي: "أنْتُمْ مَمْلوءونَ فيهِ [أيْ: في المَسيحِ يَسوع]". فَالمُؤمِنُ المَسيحيُّ مَخْتونٌ لا بِخِتانِ الجَسَدِ الذي يَطْلُبُهُ النَّاموسُ، بَلْ بِخِتانِ الرُّوحِ القُدُسِ بيسوعَ المَسيحِ.

وَقَدْ كانَ هَذا هُوَ الخَطَأُ الجَسيمُ الذي وَقَعَ فيهِ المُهَوِّدون. فَقَدْ كانَ الخِتانُ عَلامَةَ شَعْبِ اللهِ في العَهْدِ القَديمِ. فَقَد قالَ اللهُ لإبراهيمَ في سِفْرِ التَّكوين 17: 10: "هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَتُنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ". وَقَدْ قالَ فَريقٌ مِنْ بَني إسرائيلَ إنَّ الخِتانَ الجَسَدِيَّ يَكْفي في ذاتِهِ لِمُصالَحَةِ الإنْسانِ مَعَ اللهِ. بَلْ إنَّهُمْ تَمادَوْا في ذَلِكَ فقالوا إنَّهُ حتَّى لو كانَ المَرْءُ مِنْهُمْ شِرِّيرًا وَفاسِدًا، فإنَّ اللهَ يَقْبَلُهُ ما دَامَ يَحْمِلُ في جَسَدِهِ عَلامَةَ الخِتانِ. وَلكِنَّ فَريقًا آخَرَ مِنْهُمْ كانُوا يَعْلَمونَ أنَّ الخِتانَ الحَقيقيَّ هُوَ خِتانُ القَلْبِ. وَالمَقْصودُ بِخِتانِ القَلْبِ هُوَ أنْ يَخْتَبِرَ المَرْءُ تَغْييرًا حَقيقيًّا في قَلْبِهِ وَحَياتِهِ وَأن يَصيرَ مُكَرَّسًا للهِ.

وَقَدْ كانَ هَذا هُوَ رَدُّ بولسَ الرَّسولِ على المُهَوِّدين. فالخِتانُ الحَقيقيُّ في العَهْدِ الجَديدِ يَعْني أنْ يُميتَ الإنْسانُ أعْمالَ الجَسَدِ، وَأنْ يَسْلُكَ في الرُّوحِ. بعبارةٍ أُخرى، كانَ بولسُ يَقولُ إنَّهُ إنْ تَرَكَ الأُمَمِيُّ حَياةَ الخَطِيَّةِ وَسَلَكَ حَسَبَ الرُّوحِ، فإنَّهُ يُحْسَبُ مَخْتونًا مَعَ أنَّهُ لَمْ يُخْتَنْ في جَسَدِهِ. لِماذا؟ لأنَّ اللهَ يَنْظُرُ إلى قَلْبِ الإنْسان.

لذلكَ، يؤكِّدُ بولسُ الرَّسولُ أنَّ الخِتانَ الحَقيقيَّ هُوَ خِتانُ الرُّوحِ في قَلْبِ الإنْسانِ أيْ أنْ يَتَخَلَّى الإنْسانُ عَنْ حَياةِ الجَسَدِ، وَأنْ يَحْيا حَياةً روحِيَّةً مَرْضِيَّةً قُدَّامَ اللهِ مِنْ خِلالِ إيمانِهِ بشخصِ الربِّ يَسوعَ المَسيحِ وَعَمَلِهِ.

وَمَا يَدْعو للأسَفِ حَقًّا هُوَ أنَّ أُناسًا كَثيرينَ يَتَمَسَّكونَ بالطُّقوسِ وَيَتْخَلَّوْنَ عَنِ الشَّيءِ الأصْلِيِّ الذي تَرْمِزُ إليهِ تِلْكَ الطُّقوس. فَكَما رَأينا قَبْلَ قَليلٍ، فإنَّ أغْلَبِيَّةَ اليَهودِ تَمَسَّكُوا بِالخِتانِ الجَسَدِيِّ وَلَمْ يَلْتَفِتوا إلى الخِتانِ الحَقيقيِّ الذي هُوَ خِتانُ القَلْبِ. لِذا يَقولُ بولسُ الرَّسولُ هُنا: "وَبِهِ أيْضًا [أيْ: في المَسيحِ يَسوعَ] خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا البَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ المَسِيحِ". بعبارةٍ أُخرى، فإنَّ الخِتانَ اليَهودِيَّ هُوَ خِتانٌ مَصْنوعٌ بِيَدِ إنْسانٍ. وأمَّا الخِتانُ الروحيُّ فَيَحْدُثُ في قَلْبِ الإنْسانِ بِعَمَلٍ إلٰهيٍّ.

وَيُتابِعُ بولسُ الرَّسولُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ كولوسي قائلًا في الأصْحاحِ الثَّاني والعَدَدَيْنِ الثَّاني عَشَرَ والثَّالِث عَشَر:

مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا،

وَعلى نَحْوٍ مُشابِهٍ للخِتانِ، هُناكَ أُناسٌ كَثيرونَ يَعْتَمِدونَ في خَلاصِهِمْ على المَعْمودِيَّةِ التي اعْتَمَدوا بِها في طُفولَتِهِمْ أوْ في أيِّ وَقْتٍ آخَرَ مِنْ حَياتِهِم. ولَكِنَّ المَعْموديَّة بِمَعْناها الحَقيقيِّ كَما يَقولُ بولسُ الرَّسولُ هُنا هِيَ رمزٌ لمَوْتنا عَنِ الحَياةِ القَديمَةِ (أيْ: حَياةِ الجَسَدِ)، لِكَيْ نَحْيا حَسَبَ الرُّوحِ في المَسيحِ المُقامِ مِنَ الأمواتِ. لِذلكَ، إذا كُنْتَ، صَديقي المُستمِع، قَدِ اعْتَمَدْتَ في طُفولَتِكَ أوْ في أيِّ وَقْتٍ مِنْ حَياتِكَ وَما تَزالُ تَعيشُ في الجَسَدِ وَحَسَبِ طَبيعَتِكَ القَديمَةِ، فإنَّ مَعْموديَّتَكَ لَنْ تُخَلِّصَكَ وَلَنْ تَنْفَعَكَ في شَيءٍ. فالربُّ يُريدُكَ أنْ تَحْيا في الرُّوحِ تِلْكَ الحَياة الجَديدَة التي وَهَبَكَ إيَّاها في المَسيحِ يَسوعَ عِنْدَما آمَنْتَ بِهِ وَقَبِلْتَهُ مُخَلِّصًا لِحَياتِكَ. لِذلكَ فإنَّ الرَّسولَ بُطْرُسَ يَقولُ في رِسالَتِهِ الأولى 3: 21 عَنِ المَعْموديَّةِ إنَّها: "لاَ إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". فالمَعْموديَّةُ الحَقيقيَّةُ ليسَتْ طَقْسًا عَديمَ المَعْنى، بَلْ هِيَ قَرارٌ حَكيمٌ يأخُذُهُ المُؤمِنُ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَضَميرِهِ وَوُجْدانِهِ مُعْلِنًا مِنْ خِلالِهِ أنَّهُ قَدْ عَقَدَ العَزْمَ على السُّلوكِ في الرُّوحِ وَفي جِدَّةِ الحَياةِ المَسيحيَّةِ التي وَهَبَها اللهُ لَهُ في المَسيحِ يَسوع.

لِذلكَ يَقولُ الرَّسولُ بولسُ هُنا: "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا". وَنُلاحِظُ هُنا أنَّ الرَّسولَ بولسَ يَقْرِنُ بينَ الخِتانِ وَالمَعْموديَّةِ. فَفي مَا يَخْتَصُّ باليَهودِ، كانَ الخِتانُ يُشيرُ إلى أنَّ المَرْءَ قَدْ عَقَدَ العَزْمَ على السُّلوكِ حَسَبَ الرُّوحِ لا الجَسَد. وَفي مَا يَخْتَصُّ بالمُؤمِنينَ المَسيحِيِّينَ، فإنَّ المَعْموديَّة تَرْمِزُ إلى الشَّيءِ نَفْسِهِ أيْ إلى الحَياةِ حَسَبِ الرُّوحِ. فَعِنْدَما يَعْتَمِدُ المُؤمِنُ المَسيحيُّ، فإنَّهُ يُعْلِنُ أنَّهُ قَدْ عَقَدَ العَزْمَ على السُّلوكِ في جِدَّةِ الحَياةِ المَسيحيَّةِ أيْ أنَّهُ سَيَسْلُكُ لا في الجَسَدِ، بَلْ في الرُّوح.

لِذا فإنَّ الحَقَّ الذي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ بولسُ الرَّسولُ يَسْري على الفَريقَيْنِ أيْ على اليَهودِ وَغَيْرِ اليَهودِ. فَلَيْسَ المُهِمُّ ما حَدَثَ في جَسَدِي مِنْ خِتانٍ أوْ مَعْموديَّةٍ، بَلْ إنَّ المُهِمَّ حَقًّا هُوَ مَا حَدَثَ في قَلْبي وَحياتي. فإنْ كُنَّا قَدْ دُفِنَّا حَقًّا مَعَ المَسيحِ في المَعْموديَّةِ، فإنَّهُ سَيُقيمُنا مَعَهُ. وَإنْ كُنَّا أمْواتًا بالذُّنوبِ وَالخَطايا، فَقَدْ غَفَرَ لَنا خَطايانا مِنْ خِلالِ مَوْتِهِ لأجْلِنا على الصَّليب. وَهَذا يَعْني، صَديقي المُستمع، أنَّ جَميعَ خَطاياكَ السَّالِفَة قَدْ غُفِرَتْ مِنْ خِلالِ إيمانِكَ بشخصِ الربِّ يَسوعَ المَسيحِ وَمَا عَمِلَهُ لأجْلِكَ على الصَّليب. فَكُلُّ خَطيئَةٍ اقْتَرَفْتُها قَدْ مُحِيَتْ مِنْ خِلالِ إيمانِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح.

وَلَيْسَ هَذا فَحَسْبُ، بَلْ إنَّ الرَّسولَ بولسَ يُتابِعُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ كولوسي قائِلًا في الأصْحاحِ الثَّاني وَالعَدَدِ الرَّابِع عَشَر:

إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ،

وَالحَديثُ هُنا، عَزيزي المُسْتَمِع، هُوَ عَن السيِّدِ المَسيح. وَلَكِنْ ما مَعْنى أنَّ السيِّدَ المَسيحَ "مَحا الصَّكَّ الذي عَلَيْنا في الفَرائِضِ"؟ إنَّ الصَّكَّ المُشارَ إليهِ هُنا هُوَ النَّاموس. وَقَدْ كانَ النَّاموسُ ضِدًّا لَنا لأنَّهُ لا يُمْكِنُ لأيِّ شَخْصٍ أنْ يَخْلُصَ بِأعْمالِ النَّاموس. فالنَّاموسُ أُعْطِيَ في الأصْلِ لِكَيْ يُبَيِّنَ للإنْسانِ أنَّهُ خَاطِئٌ، وَأنَّ أُجْرَةَ الخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ. وَبِمَوْتِ المَسيحِ على الصَّليب، رَفَعَ جَميعَ هَذِهِ الفَرائِضِ وَالطُّقوسِ مُسَمِّرًا إيَّاها بالصَّليب. فَقَدْ أَلْغاها لأنَّهُ سَدَّدَ ثَمَنَها كامِلًا بِمَوْتِهِ على الصَّليبِ لأجْلِنا. لِذا فإنَّ المُؤمِنَ المَسيحيَّ هُوَ لَيْسَ تَحْتَ النَّاموسِ، وَهُوَ لَيْسَ خاضِعًا لأيِّ طَقْسٍ أوْ ناموسٍ. فَتَبْريرُنا لا يَتَوَقَّفُ على أعْمالِنا الصَّالِحَةِ أوْ أيِّ جُهْدٍ نَقومُ بِهِ، بَلْ يَتَوَقَّفُ على إيمانِنا بشخصِ الربِّ يَسوعَ المَسيح. وأمَّا الأعْمالُ الصَّالِحَةُ فَهِيَ ثَمَرُ إيمانِنا. فإذا كُنْتَ، صَديقي المُستمع، تَقولُ إنَّ لَكَ إيمانٌ، ولكِنَّ أعْمالَكَ لا تَتَّفِقُ مَعَ إيمانِكَ هَذا، فإنَّ ادِّعاءَكَ باطِلٌ. فالإيمانُ الحَقيقيُّ يُنْتِجُ أعْمالًا صَالِحَةً تُوافِقُهُ. وَعلى أيِّ حَالٍ، فإنَّ تَبْريرَنا قُدَّامَ اللهِ لا يَتَوَقَّفُ على أعْمالِنا، بَلْ فَقَطْ على إيمانِنا بِشَخْصِ الربِّ يَسوعَ المَسيح وَما قامَ بِهِ لأجْلِنا على عُوْدِ الصَّليب.

في ضَوْءِ ذَلِكَ، لا يُمْكِنُكَ أنْ تَقولَ إنَّكَ بارٌّ لأنَّكَ تُصَلِّي بِضْعَ مَرَّاتٍ في اليوم. وَلا يُمْكِنُني أنْ أقولَ إنِّي أبَرُّ مِنْكَ لأنِّي أقْرَأُ الكِتابَ المُقَدَّسَ أكْثَرَ مِنْكَ. فَنَحْنُ نَتَبَرَّرُ لأنَّ اللهَ يَحْسِبُ بِرَّ المَسيحِ لَنا بِسَبَبِ إيمانِنا بِهِ. فالكِتابُ المُقَدَّسُ يَقولُ عَنْ أبينا إبراهيم إنَّهُ: "آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا". كَذَلِكَ، عِنْدَما تُؤمِنُ بيسوعَ المَسيحِ وَتَقْبَلُهُ مُخَلِّصًا لِحَياتِكَ، فإنَّ اللهَ يَحْسِبُ إيمانَكَ بِهِ بِرًّا. ونَتيجَةً لإيمانِكَ بالمَسيحِ يَسوع، فإنَّكَ تَرْغَبُ في مَعْرِفَتِهِ مَعْرِفَةً أعْمَق. وَهَذا يَقودُكَ إلى دِراسَةِ الكِتابِ المُقَدَّس، وَالصَّلاةِ، وَالشَّرِكَةِ مَعَ المُؤمِنينَ. وَهَذا لا يَعْني أنَّ هَذِهِ الأعْمالَ هِيَ التي خَلَّصَتْكَ، بَلْ إنَّها جاءَتْ نَتيجَةَ خَلاصِكَ وَتَبْريرِك.

وَمِنَ المُهِمِّ جِدًّا أنْ نَفْهَمَ الفَرْقَ بَيْنَ الإيمانِ وَالأعْمال. فالأعْمالُ هِيَ ثَمَرُ هَذا الإيمان، وَلَيْسَ العَكْس. أمَّا إذا فَهِمْنا الأمْرَ فَهْمًا مَعْكوسًا وَمَغْلوطًا، فإنَّنا سَنَقَعُ في فَخِّ الكِبْرياءِ وَالتَّفاخُرِ وَالتَّباهي. وَحينئذٍ، سَنَظُنُّ أنَّنا أفْضَلُ مِنَ الآخَرين. ولكنَّ اللهَ لا يُريدُنا أنْ نَكونُ مُتَكَبِّرينَ، بَلْ يُريدُنا أنْ نَتَمَثَّلَ بالسيِّدِ المَسيح الذي قالَ: "تَعَلَّموا مِنِّي لأنِّي وَديعٌ وَمُتواضِعُ القَلْبِ".

وَمَا دُمْنا نَتَبَرَّرُ أمامَ اللهِ مِنْ خِلالِ إيمانِنا بِما عَمِلَهُ يَسوعُ لأجْلِنا على الصَّليب، لا يُمْكِنُنا أنْ نَفْتَخِرَ بأيِّ شَيءٍ. لِذلكَ فإنَّ كَلِمَةَ اللهِ تَقولُ لَنا: "مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ".

إذًا، فَقَدْ "مَحَا [يَسوعُ] الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ".

وَيُتابِعُ بولسُ الرَّسولُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ كُولوسي قائِلًا في الأصْحاحِ الثَّاني وَالعَدَدِ الخامِسِ عَشَرَ:

إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.

وَالحَديثُ هُنا أيْضًا، صَديقي المُسْتَمِع، هُوَ عَن الربِّ يَسوعَ المَسيح. فَصَليبُ الربِّ يَسوعَ المَسيحِ هُوَ المَكانَ الذي تَحَقَّقَتْ فيهِ النُّصْرَةُ على الشَّيْطان. فالشَّيْطانُ لَيْسَ عَالِمًا بِكُلِّ شَيءٍ. لذلكَ فإنَّ اللهَ قَادِرٌ دَائِمًا على قَلْبِ مُؤامَراتِ إبليسَ على رَأسِهِ. فَمَعَ أنَّ الشَّيْطانَ مَاكِرٌ وَخَبيثٌ، فإنَّ حِكْمَةَ اللهِ وَقُدْرَتَهُ تَجْعَلُ كُلَّ الأشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا للخَيْرِ لِلَّذينَ يُحِبُّونَ الله. وَقَدْ رَأينا ذَلِكَ يَحْدُثُ في حَياةِ رَجُلِ اللهِ "يُوسُف". فَمَعَ أنَّ إخْوَتَهُ باعُوهُ عَبْدًا للمِصْرِيِّينَ، فإنَّ اللهَ جَعَلَهُ الرَّجُلَ الثَّاني في مِصْرَ بَعْدَ فِرْعَون. وَعِنْدَما الْتَقاهُ إخْوَتُهُ بَعْدَ سِنينَ طَويلَة، خَافُوا مِنْ أنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ شَرَّ انْتِقامٍ. وَلَكِنَّ يُوسُفَ قالَ لَهُمْ: "لاَ تَخَافُوا. لأَنَّهُ هَلْ أَنَا مَكَانَ اللهِ؟ أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا".

وَنَقْرَأُ أيْضًا في الأصْحاحِ الثَّالِثِ مِنْ سِفْرِ أسْتير أنَّ المَلِكَ أحَشْويرُوش رَفَّعَ مِنْ مَقَامِ رَجُلٍ يُدْعى "هَامَانَ" وَعَظَّمَهُ، وَجَعَلَ مَرْتَبَتَهُ فَوْقَ مَرَاتِبِ جَمِيعِ رُؤَسَائِهِ الآخَرِينَ، فَصَارَ جَمِيعُ الرِّجالِ الوَاقِفِينَ عِنْدَ بَابِ المَلِكِ يَنْحَنُونَ وَيَسْجُدُونَ لِهَامَانَ بِمُوْجِبِ أمْرِ المَلِك. وَلَكِنَّ رَجُلًا يَهوديًّا تَقِيًّا اسْمُهُ "مُرْدَخَاي" أبَى أنْ يَنْحَنِيَ أمَامَهُ وَيَسْجُدَ لَهُ لأنَّ السُّجودَ لا يَليقُ إلَّا باللهِ الحَيِّ. وَعِنْدَما أصَرَّ "مُرْدَخَاي" على رَفْضِ السُّجودَ لِهامان بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الضُّغوطِ التي مُوْرِسَتْ عليهِ، اسْتَشَاطَ "هامانُ" غَضَبًا، وَاسْتَصْغَرَ أنْ يُعَاقِبَ مُرْدَخَايَ وَحْدَهُ. لِذا فَقَدْ عَزَمَ أنْ يُفْنِيَ جَمِيعَ اليَهُودِ المُقِيمِينَ في كُلِّ أرْجَاءِ مَمْلَكَةِ أحَشْويرُوش. وَقَدْ أمَرَ هامانُ رِجالَهُ أنْ يُجَهِّزُوا خَشَبَةً ارْتِفَاعُهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِتْرًا، وَكانَ يَنْتَظِرُ بُزوغَ الشَّمْسِ حَتَّى يَطْلُبُ مِنَ المَلِكِ أنْ يَأمُرَ بِصَلْبِ مُرْدَخَايَ عَليه.

وَنَقْرَأُ في نِهايَةِ القِصَّةِ أنَّ اللهَ قَلَبَ مُؤامَرَةَ هامان على رأسِهِ. فَبَعْدَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الأحْداثِ، أمَرَ المَلِكُ بِتَكْريمِ مُرْدَخاي، وَأمَرَ بِصَلْبِ هَامان على الخَشَبَةِ التي كانَ هَامانُ نَفْسُهُ قَدْ أعَدَّها لِصَلْبِ مُرْدَخاي! فَيا لِعَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، يا صَديقي!

وَمَعَ أنَّ الشَّيْطانَ كَانَ قَدْ تَآمَرَ على يَسوعَ لإهْلاكِهِ على الصَّليبِ، فإنَّ هَزيمَةَ الشَّيْطانِ الكُبْرى كانَتْ على ذَلِكَ الصَّليب نفسِه. فَقَدْ كانَ النَّاموسُ يَدينُنا جَميعًا لأنَّنا عَجِزْنا عَنِ العَمَلِ بِهِ كُلِّهِ وَلأنَّنا كُنَّا عَبيدًا للخطيَّةِ. لِذا فَقَدْ كانَ حُكْمُنا العادِلُ هُوَ المَوْت. وَلَكِنَّ يَسوعَ اقْتَدانا مِنْ لَعْنَةِ النَّاموس وَمِنْ عُبوديَّتِنا لإبليس. فَقَدِ اشْتَرانا يَسوعُ على الصَّليبِ بأنْ دَفَعَ أُجْرَةَ خَطايانا. لِذلكَ يَقولُ بولسُ هُنا إنَّ يَسوعَ "جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ [أيْ: إبليسَ وَجُنودَهُ] أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ".

وَأخيرًا، يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ كُولوسي 2: 16:

فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْل أَوْ شُرْبٍ،
أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَل أَوْ سَبْتٍ،

وَكَما تَرى، عَزيزي المُستمع، فإنَّ هَذِهِ جَميعَها هِيَ أُمورٌ مُخْتَصَّةٌ بالطُّقوسِ التي كانَ اليَهودُ يُمارِسونَها. فإنْ كُنْتَ تأكُلُ أَطْعِمَةً مُعَيَّنَةً أو تَمْتَنِعُ عَنْ تَناوُلِها، فإنَّ هَذا لَنْ يُقَرِّبَكَ إلى اللهِ. وَإنْ كُنْتَ مُلْتَزِمًا بِعيْدٍ أوْ يَوْمِ رَاحَةٍ، فإنَّ هَذا لا يَجْعَلُكَ بارًّا في نَظَرِ اللهِ. فالمُؤمِنُ المَسيحيُّ لا يَخْضَعُ لأيٍّ مِنْ هَذِهِ الطُّقوسِ وَالفَرائِضِ. لِماذا؟ لأنَّ هَذِهِ جَميعَها كانَتْ ظِلالًا وَرُموزًا تُشيرُ إلى يَسوعَ المَسيحِ الذي سَيأتي. وَعِنْدَما أتى يَسوعُ إلى الأرْضِ، أُبْطِلَتْ جَميعُ هَذِهِ الرُّموزِ وَالظِّلال. فالخَلاصُ يَتِمُّ فَقَطْ بالإيمانِ بشخصِ الربِّ يَسوعَ المَسيحِ وَبِما عَمِلَهُ لأجْلِنا على الصَّليب. آمين!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" دِراسَتَهُ لِهَذِهِ الرِسالَةِ العَظيمَةِ بِمَشيئَةِ الربِّ! لِذا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

صَلاتُنا لأجْلِكَ، صَديقي المُستمع، هِيَ أنْ يُبارِكَكَ الربُّ بِكُلِّ بَرَكَةٍ في السَّماءِ وَعلى الأرْضِ، وَأنْ يَحْفَظَكَ في مَحَبَّتِهِ وَنِعْمَتِهِ وَرِضاه، وَأنْ يَسْتَخْدِمَكَ اسْتِخْدامًا يُمَجِّدُ اسْمَهُ القُدُّوس. باسْمِ يَسوعَ المَسيح. آمين!